فمن ذا يطيق غضبه ؟ فإن كان ما ذكرتِ باطلاً ، فإني أذكِّرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل ، وتصير الجبال كالعِهن ، وتجثو الأمم لصولة الجبار العظيم ، وإني و الله قد ضعفتُ عن إصلاح نفسي ، فكيف بإصلاح غيري ، وإن كان ما ذكرتِ حقّاً ، فإني أدلُّكِ على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة ، والأوجاع ؟ ذلك الله رب العالمين ، فاقصديه بصدق المسألة فإني مشغول عنكِ بقوله :

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٨-١٩] فأين المهرب من هذه الآية ؟

وهكذا لزمت المرأة بيتها ، عاكفةً على العبادة والبكاء والاستغفار ، ثم أرسلت له رسالة فيها :

لا كان الملتقى بعد ذاك اليوم أبداً ، إلا غداً بين يدي الله تعالى ، ثم توفيت إلى رحمة الله تعالى[1] .

* * *

واذكر الموت وما بعده!!

كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز لمّا تولّى الخلافة ما يلي :

الإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده ، يسعى لهم صغاراً ، ويعلِّمهم كباراً ، يكتسب لهم في حياته ، ويدَّخر لهم بعد مماته .

---

(١) بتصرف من إحياء علوم الدين للغزالي : ٣/ ٢٤٥ .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرَّة الرَّفيقة بولدها ، حملته كرهاً ، ووضعته كرهاً ، وربَّته طفلاً ، تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتفطمه أخرى ، وتفرح بعافيته ، وتغتمُّ بشكايته .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح ، تصلح جوانحه بصلاحه ، وتفسد بفساده .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويُسمعهم ، وينظر إلى الله ويُريهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم ، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملَّكك الله كعبد ائتمنه سيِّده واستحفظه ماله وعياله ، فبدَّد المال ، وشرَّد العيال ، فأفقر أهله ، وفرَّق ماله .

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يليها ؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتصُّ لهم ؟

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقلَّة أشياعك عنده وأنصارك عليه ، فتزوَّد له ولما بعده من الفزع الأكبر .

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه ، يطول فيه ثواؤك ، ويفارقك أحباؤك ، ويسلمونك في قعره فريداً وحيداً ، فتزوَّد له ما يصحبك يوم يفرُّ المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه[1] .

❊ ❊ ❊

---

(١) من أخبار أبي حفص وسيرته لأبي بكر الآجري (محمد بن الحسين) : ٧٣ .